مقياس النقد الأدبي القديم. سد01.حياة عمارة

المحاضرة الأولى: نشأة النقد العربي

تمهيد: ماهية النقد

يعدّ النقد من أهمّ ما تقوم عليه الحياة، وترتقي به الحضارات، وترتكز عليه الأمم في تطوّرها، وتبني به الشعوب قواعدها الثابتة، وتقيمها على أسس سليمة، وتفاخر بها العالم، ذلك أنّنا بالنقد نعرف الصحيح من الخطأ، والجيّد من الرّديء والحسن من السيئ. والأدب موضوع النقد وميدانه الّذي يعمل فيه، وأدب أيّ أمة هو المأثور من بليغ شعرها ونثرها، والأدب عمليّة خلق وإبداع، ومنه ما يسمو صعدا إلى الكمال ومنه ما يقصر دون ذلك .

ولا يكون النقد الأدبي مرافقا للعمل الأدبي وناشئا معه، ولكنّه يأتي بعد ظهور العمل الأدبي. و إذا كان الأدب بطبيعته ينزع إلى الحرية المطلقة و التجديد، و اكتشاف آفاق جديدة يحلّق فيها و يعبّر عنها، فإنّ النقد على العكس من ذلك إنّه محافظ مقيّد، يقف عند حدود دراسة الأعمال الأدبية بقصد الكشف عمّا فيها من مواطن القوّة و الضعف، و الحسن و القبح، و إصدار الأحكام عليها و تذوّق مناحيها الجمالية.

1-النقد لغة:

لم ترد كلمة "النقد" في القرآن الكريم، ولكنّها وردت في الحديث الشريف، و معاجم اللغة. و من معانيها:

*النقد: خلاف النسيئة، أي: النقود. ورد في الحديث الشريف أن زيد بن أرقم والبراء بن عازم كان قد اشتريا فضة بنقد ونسيئة، فبلغ النبي(ص) فأمرهما: "أن ما كان بنقد فأجيزوه وما كان بنسيئة فردوه."

*و يقال النقدان: الذهب و الفضة .

*و النقـد: تمييـز صـحيح الـدراهم و إخـراج الزيـف منها،كالتنقـاد و التنقـد، و قـد نقـدها ينقـدها نقـدا وانتقـدها، و تنقـدها، إذا ميّـز جيّـدها مـن رديئهـا. أنشـد سـيبويه بيتـا للفـرزدق في وصف الناقة:

تنفي يداها الحصى في كلّ هاجرة نفي الدنانير تنقاد الصياريف

-و النقد من نقد الشيء ينقده نقدا إذا نقره بإصبعه كما تنقر الجوزة.

-و النقد من ناقدت فلانا إذا ناقشته في الأمر.

-و النقد بمعنى العيب. ورد ذلك في حديث أبي الدرداء الّذي يقول فيه "إن نقدت الناس نقدوك وإن تركتهم تركوك" و معنى نقدتهم أي عبتهم و اغتبتهم .

إذن فقد ظل معنى كلمة (نقد) يدور في مفهومه حول نقد الدراهم، وتمييز جيّدها من رديئها، ثمّ نجد مفهوما آخر انتقل من تمييز الدراهم إلى الطعام وذلك عن طريق انتقائه واختياره .

لقد استخدمت لفظة(النقد) بالاستعمالين الآتيين:

-تمييز الجيد من الرديء.

-إظهار العيب و المساوئ.

ثمّ أخد الشعراء يرددون مفهوم النقد في أشعارهم، فهذا أحدهم يقول:

إنَّ نقد الدينار على الصي رف صعبٌ فكيف نقد الكلام

و هذا آخر يقول:

رب شعر نقدته مثلما ين قد رأس الصيارف الدينارا

2-النقد اصطلاحا:

لعــلّ المعــنى اللغــوي الأوّل أنســب المعــاني و أَلْيَقهــا بالمــراد مــن كلمــة "النقــد" في الاصـطلاح الحـديث مـن ناحيـة، و في اصـطلاح أكثـر المتقـدمين مـن ناحيـة أخـرى. ففيـه معـنى الفحص و الموازنة و التمييز و الحكم.

حـاول قدامـة بـن جعفـر(ت337هـ) في كتابـه" نقـد الشـعر" تحديـد مفهـوم النقـد في مقدّمـة الكتـاب فيقـول "و لم أجـد أحـدا وضـع في نقـد الشـعر و تخلـيص جيّـده مـن رديئـه كتـابا، و كـان الكلام عندي في هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام".

و يوضـح الصـولي(ت335هـ) مفهـوم النقـد حـين يعلّـق علـى البحـتري فيقـول: "هـذا شـاعر حـاذق مميّـز ناقـد، مهـذّب الألفـاظ. "و قـد أصـبح نقـد الشـعر و تمييـزه واضـح المعـالم في القـرن الثالـث للهجـرة. لقـد وقـف النقـاد عنـد لفظـة "نقـد" محـاولين تعريفهـا تعريفـا اصـطلاحيا، وهـذه المحاولات وإن اختلفت لفظا فقد اتّفقت معنى. من ذلك مثلا:

*النقـد دراسـة الأشـياء وتفسـيرها وتحليلهـا وموازنتهـا بغيرهـا المشـابهة لهـا أو المقابلـة، ثمّ الحكـم عليهـا ببيـان قيمتهـا ودرجتهـا. أو هـو التقـدير الصـحيح لأيّ أثـر فـنيّ وبيـان قيمتـه في ذاتـه ودرجته بالنسبة إلى سواه.

*والنقـد في أدقّ معانيـه هـو فـنّ دراسـة الأسـاليب و تمييزهـا و ذلـك علـى أن نفهـم لفظـة الأسـلوب بمعناهـا الواسـع، و هـو منحـى الكاتـب العـام، و طريقتـه في التـأليف، و التعبـير و التفكير و الإحساس على السواء.

*أو هـو مجموعـة الأسـاليب المتّبعـة(مع اختلافهـا باخـتلاف النقـاد) لفحـص الآثار الأدبيـة و المـؤلفين القـدامى و المحـدثين بقصـد كشـف الغـامض و تفسـير الـنص الأدبي و الإدلاء بحكـم عليه في ضوء مبادئ أو مناهج بحث يختص بها النقاد.

ويبـدأ النقـد وظيفتـه بعـد الفـراغ مـن إنشـاء الأدب، فالنقـد يفـرض أنّ الأدب قـد وجـد فعـلا ثم يتقـدّم لفهمـه وتفسـيره وتحليلـه وتقـديره، والحكـم عليـه بهـذه الملكـة الّـتي تكـون لملاحظاتهـا قيمـة وأثر في النص و القارئ و المبدع .

ومن الناحية التاريخية نرى أن الأدب أسبق إلى الوجود من النقد، وهذا يعني أن الشاعر الأوّل قد سبق إلى الوجود الناقد الأول أيّا كانت طبيعة هذا النقد من انطباعية تأثرية أو علمية دقيقة. والأدب يتّصل بالطبيعة اتصالا مباشرا، على حين يراها النقد من خلال الأعمال الأدبية الّتي ينقدها. ثمّ إنّ الأدب ذاتي من حيث إنّه تعبير عمّا يحسّه الأديب وعمّا يجيش في صدره من فكرة أو خاطرة أو عاطفة. أما النقد فذاتي موضوعي: فهو ذاتي من حيث تأثّره بثقافة الناقد وذوقه ومزاجه ووجهة نظره. وهو موضوعي من جهة أنه مقيد بنظريات وأصول علمية.

المحاضرة الثانية:مؤهّلات الناقد.

النقد في ذاته قديم قدم الإنسان الّذي خلق نزّاعا إلى الكمال، ومن ثمّ منقادا بطبعه إلى إدراك ما في الأشياء من وجوه كمال يستريح إليها، ووجوه نقص يسعى إلى كمالها .

ولا بدّ للناقد أن يتسلّح بإحدى الذخيرتين: الذوق والثقافة قبل أن يتصدّى للعمل الفني بالنقد أو الحكم عليه. أو أن يجمع بينهما.

1-الذوق:

إنّ الناقد الّذي يمتلك الموهبة قادر على أن يحكم على العمل الفني. والموهبة هي ذلك الاستعداد الفطري عند الإنسان وقدرته على التفاعل مع القيم الجمالية في الأعمال الفنية، ومقدرته على فهم العمل الفنّي وتحليله من جميع جوانبه، وإمكانيته في إصدار الحكم. والذوق من أساسيات النقد الأدبي ومن معاييره الهامّة الّتي تعتمد اعتمادا كبيرا عليه.

يقسّم الآمدي(ت371هـ) الذوق ثلاثة أقسام:

الطبع: هو ما طبع عليه الإنسان وفطر. والطبع: الطبيعة والسجية.

الحذق: هو ما اكتسبه الإنسان بالدربة والمران ودائم التجربة وطول الملابسة.

الفطنة: أي الجمع بين الطبع والحذق. والناقد الفطن أقدر على التمييز والحكم من الناقد المطبوع أو الناقد الحاذق.

وقد نبّه القدامى إلى ضرورة توفّر الذوق لإدراك العمل الفني، واكتشاف جوانبه الجمالية. يشير عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) "إنّ هذا الإحساس قليل في الناس(...) ولا تستطيع أن تقيم الشعر في نفس من لا ذوق له". لأنّ كشف أسرار العمل الفني، وتذوّق الجمال فيه لا يكون إلاّ في" من كان ملهب الطبع حاد القريحة". والقريحة هنا تعني الذكاء. وقد ذهب المتخصّصون في علم النفس إلى تحديد مفهوم الذوق بأنّه: قوّة يقدّر بها الأثر الفني، أو هو ذلك الاستعداد الفطري والمكتسب الّذي نقدر به على تقدير الجمال و الاستمتاع به و محاكاته بقدر ما نستطيع في أعمالنا و أفكارنا وأقوالنا .

2-الثقافة:

تعدّ الثقافة من أهمّ أدوات الناقد، ونعني بها تلك المعرفة الّتي يحصل عليها الناقد من خلال: دراسته و تجربته و خبرته و دربته و ممارسته و سعة اطّلاعه على المدارس و النظريات و الاتّجاهات و الثقافة المحيطة بالأعمال المراد نقدها، و معايشة تلك الأعمال و الأعمال المشابهة لها، إلى جانب معرفة العلوم المساعدة الّتي قد تتّصل أو تضيء جوانب غامضة من تلك الأعمال. وكذا ضرورة الوقوف على آراء السابقين والمعاصرين. و قد نبّه العلماء على الاعتداد بالطبع و الذكاء و ضرورة إضافة الثقافة الواسعة. يقول الجاحظ: "طلبت علم الشعر عن الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يحسن إلاّ إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة، فوجدته لا ينقل إلاّ فيما اتّصل بالأخبار و تعلّق بالأيام و الأنساب، فلم أظفر بما أردت إلاّ عند أدباء الكتاب: كالحسن بن وهب و محمد بن عبد الملك الزيات".

ويقول ابن سلام الجمحي: "و للشعر صناعة و ثقافة يعرفها أهل العلم بالشعر و أحقّ الناس بتقديره و نقده في رأيي الجاحظ." وهكذا نجد القدامى قد ركّزوا على ضرورة الجمع بين الذوق والثقافة من أجل دراسة العمل الفني دراسة وافية شاملة وإبراز الجوانب الجمالية فيه.

وقد حاول بعض الدارسين تحديد ثقافة الناقد في ثلاثة مجالات من المعرفة: المجال اللغوي، المجال الأدبي، المجال العام.

*المجال اللغوي :

المراد بثقافة الناقد اللغوية معرفته بعلوم اللغة صرفها ونحوها وبلاغتها وعروض الشعر وقوافيه، فيعرف الحال ومقتضاه والتقديم والتأخير، والذكر والإيجاز وغيرها من العلوم اللغوية. و من هنا نرى بأنّ للنقد صلة وثيقة بعلوم اللغة.

*المجال الأدبي:

و أمّا ثقافة الناقد الأديبة فالمراد بها أن يعرف الناقد عصور الأدب معرفة كاملة و خصائص كلّ عصر، و أدب أعلامه البارزين من الشعراء و الكتاب و الأجناس الأدبية الّتي شاعت فيه...و أن يعرف أثر الزمان و المكان في ثقافة الشاعر و الكاتب، و نشأة كلّ فن أدبي و تطوّره على مرّ العصور .

*مجال الثقافة العامة:

المراد بها إلمام الناقد ببعض العلوم والمعارف الّتي لا غنى عنها لباحث متعمّق ودارس جاد، مثل علم المنطق، حتّى يعرف المقدّمات وما تؤدّي إليها من نتائج. وأن يعرف شيئا غير قليل من علم الجمال وأن يعرف الكثير عن التاريخ العربي والإسلامي والعصر الحديث ويعرف مبادئ علم الاجتماع. و قد أورد النقاد العرب الكثير من جوانب معرفتهم بالنواحي الاجتماعية و النفسية حين تحدّثوا عن دواعي الشعر و الأوقات التي يسرع فيها أتيه و ينقاد عصيه، و عن أسباب لين شعر بعض الشعراء و وعورة شعر الآخر، و أثر البداوة و الحضارة في السهولة و الصعوبة، و في اللين و التوعر. يقول القاضي الجرجاني:" و قد كان القوم يختلفون في ذلك، و تتباين فيه أحوالهم، فيرق شعر أحدهم و يصلب شعر الآخر، و يسهل لفظ أحدهم و يتوعّر منطق غيره، و إنّما ذلك بحسب اختلاف الطبائع، و تركيب الخلق، فإنّ سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع، و دماثة الكلام بقدر دماثة الخلقة، و أنت تجد ذلك في أهل عصرك و أبناء زمانك، و ترى الجافي الجلف منهم كز الألفاظ و عر الخطاب".

المحاضرة الثالثة: النقد بين العلم و الفن.

اشتدّ الخلاف بين النقاد حول طبيعة النقد الأدبي وتصنيفه بين العلم أو الفن، فمنهم من رأى أنّ النقد مسألة ذاتية خالصة تعتمد على ما تبعثه النصوص في نفوس القرّاء من انفعالات، وما تؤثّر في أذواقهم من آثار مقبولة أو منكرة، وهذه النفوس والأذواق مختلفة باختلاف الأفراد، على أنّ هذه الأذواق تستحيل مع الأيّام وسعة الثقافة، واستحالة الحياة الطبيعية والاجتماعية، فتصبح أحكامها معرضة للتناقض، ومعنى ذلك تعدّد الأحكام بتعدّد النقاد، ثمّ تغيّرها بتغيّر الأحوال، وليس هذا من طبيعة العلم. ولذلك وجب أن يوضع للنقد قواعد ومقاييس علمية تستعين بجملة من العلوم المختلفة وتضع لنفسها مناهج تسترشد بها في دراسة العمل الفني دراسة موضوعية بعيدا عن الذاتية و الأهواء الشخصية. على أنّ هذه القواعد النقدية الّتي يسترشد بها النقاد حين ينهضون بوظيفتهم لا يمكن مطلقا أن تخلق الناقد البارع ما لم يكن من طبعه أساس خلقي وطبع و عبقرية موهوبة.

1-النقد بين الذاتية والموضوعية:

لقد بذلت جهود ومحاولات لجعل النقد الأدبي علما كسائر العلوم الطبيعية، مهمّته تشريح النص عبر قوانين عامّة مستمدّة من العلوم في أغلب الأحيان ومنذ القديم وجدت قواعد لضبط القول الأدبي و تصنيف أنواعه، سيما في الشعر. و لقد تبيّن لنا حتّى الآن أن النقد لا يمكن أن يكون من العلوم التجريبية كالطبيعة و الكيمياء و لا من العلوم الرياضية كالحساب و الهندسة و الجبر، لعل الحائل الرئيس و دون ذلك أنّ هذه العلوم موضوعية تتناول الأشياء و المقادير كما هي في دقة براءة من سلطان الأمزجة و العواطف، و لكن النقد فيه جانب موضوعي عام يتصل بالمسائل النحوية و البيانية و بمقدار من الذوق العام، و فيه جانب ذاتي يعتمد حتما على الذوق الخاص...لذلك خرج النقد الأدبي من دائرة العلوم الخالصة، ثم حاول أن يكون فنا خالصا فما استطاع، إذ الفن يمثل الذاتية الخالصة .

لهذا لا نستطيع أن نعد الكتابة النقدية كتابة لها علميتها و حياديتها، فالجانب الذاتي فيها أمر طبيعي، يستطيع أن يهب النص النقدي حيوية و جاذبية، خاصّة إذا استطاع الناقد إقامة توازن بين انفعالاته و وجدانه و بين معارفه و الأسس النظرية الّتي

ينطلق فيها العمل الفني. فلا يسقط ذاته على النص الأدبي ليمنع استقلاليته وقراءته من الداخل، فنقرأ أعماق الناقد ورؤاه أكثر ممّا نقرأ أعماق النص ورؤى الكاتب .

2-وظيفة النقد:

يمكن تلخيص أهمية النقد ووظيفته وغايته في النقاط الآتية:

*دراسة العمل الأدبي وتمثّله وتفسيره وشرحه، واستظهار خصائصه الشعورية والتعبيرية، وتقويمه فنيا وموضوعيا.

*تعيين مكان العمل الأدبي في خط سير الأدب، وتحديد مدى ما أضافه في التراث الأدبي في لغته و في العالم الأدبي كله. ومعرفة مدى جدّته من عدمها .

*تحديد مدى تأثّر العمل الأدبي بالمحيط ومدى تأثيره فيه، هذا من الناحية التاريخية، أمّا من الناحية الفنية فإنّه من المهمّ معرفة ماذا أخذ هذا العمل الأدبي ومدى استجابته للبيئة .

*يفسّر النقد الآثار الأدبية ويبيّن الأصول اللازمة لفهمها، والوجوه الّتي تفهم عليها وهو بذلك ييسّر قراءتها على الناس ويصل بينهم وبين الشعراء والكتاب الّذين ربّما لا يعرفون لولا النقاد ولهذا تتمكّن منزلتهم في النفوس، ويشتركون في بناء الحياة الاجتماعية، مؤثرين ومتأثّرين .

*لا يقف النقد الأدبي الخلاّق عند بيان المساوئ و المحاسن، و إنّما يتعدّى ذلك إلى اقتراح ما ينهض بالأدب و يوسّع من آفاقه إلى فنون جديدة و أساليب ممتعة...

المحاضرة الرابعة: نشأة النقد العربي

يمكن أن يكون الحديث عن تاريخ النقد الأدبي و التطور التاريخي لهذا العلم الأدبي المهمّ من خلال العناصر التالية:

أولاً : النقد عند العرب في الجاهلية

النقد الأدبي عند العرب في الجاهلية كان تأثرياً آنياً يعتمد على الذوق الفطري و يتضمّن أحكاماً جزئية و تعميمات و مبالغات كثيرة ، و ليست له قواعد محدّدة.

ثانياً : في عصر صدر الإسلام

أحدث الإسلام ارتقاء في الفكر و الذوق عند العرب، فتقدّم النقد الأدبي خطوة إلى الأمام و ظهرت أحكام نقدية فيها شيء من التدقيق و التعليل ، تهتم بالصدق و القيم الرفيعة في العمل الأدبي.

ثالثاً: في القرن الهجري الثاني

أثرت الحركة العلمية الإسلامية في النقد الأدبي فظهرت طائفة من النقاد اللغويين و الرواة الّذين جمعوا الشعر القديم، و نظروا فيه، و وازنوا بين الشعراء، و حكموا على أشعارهم، و بيّنوا صفاته الفنّية أشهرهم أبو عمرو بن العلاء و الأصمعي و يونس بن حبيب .

رابعاً: في القرن الهجري الثالث

نما النقد الأدبي وارتقى، وظهرت مؤلّفات مهمّة فيه، تهتّم بالقضايا التالية:

توثيق الشعر القديم (الجاهلي و الإسلام) لإثبات الصحيح منه و كشف غير الصحيح، و تقييم الشعراء و إجراء الموازنات بينهم، و دراسة بعض الشعر دراسة تبيّن المعاني الجيّدة و الرديئة فيه، والأساليب القويّة و الضعيفة، و أسباب قوّتها و ضعفها.

و من أشهر النقاد في ذلك القرن : محمد بن سلام الجمحي صاحب كتاب: (طبقات فحول الشعراء، و ابن قتيبة صاحب كتاب " الشّعر و الشّعراء" ، و الجاحظ الذي ضمن آراءه النقدية كتابيه"البيان و التبيين" و"الحيوان."

خامساً : في القرن الهجري الرابع

نضج النقد الأدبي عند العرب، وظهر نقاد بارعون صنفوا مؤلفات كثيرة قيمة، و عالجوا قضايا نقدية أساسية أهمّها: تعريف الشعر و الخطابة و دراسة عناصرهما و العلاقة بينهما، و دراسة بناء القصيدة، و العناصر الجمالية في العمل الأدبي، و أثر البديع في الشعر و النثر، و الموازنة بين الشعراء موازنة تفصيلية دقيقة و لاسيما الموازنة بين أبي تمام و البحتري، و بين المتنبي و كبار الشعراء الآخرين، و ما أخذه بعض الشعراء من شعر غيرهم، و هو ما عرف باسم (السرقات الشعرية). ومن أشهر النقاد في هذا القرن الحسن بن بشر الآمدي صاحب كتاب"الموازنة بين أبي تمام والبحتري"، والقاضي

علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب كتاب " الوساطة بين المتنبي وخصومه" وقدامة بن جعفر صاحب كتاب" نقد الشعر."

سادساً: في القرن الهجري الخامس

واصل النقاد تأليفهم في قضايا الشعر والنثر وأضافوا أبحاثاً دقيقة في الإعجاز القرآني، وأسرار الجمال البياني، و عمود الشعر العربي، و السرقات الشعرية. ومن أشهر النقاد آنذاك ابن رشيق القيرواني صاحب كتاب "العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده " و عبد القاهر الجرجاني صاحب كتابي "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة". ويعدّ القرن الخامس مرحلة النضج والعمق في التأليف النقدي عند العرب .

سابعاً: في الفترة الممتدة بين القرن السادس الهجري والعصر الحديث

توقّف النقد الأدبي عن التقدّم، ثمّ أخذ بالجمود والتقلّص تدريجياً حتى وصل في القرون المتأخرة إلى الضعف والتخلّف، والسبب في ذلك: قلّة الإبداع، انفصال البلاغة عن النقد.

ولكن لم تخل تلك القرون من نقاد بارزين كتبوا مؤلّفات نقدية قيّمة أمثال ابن سناء الملك الّذي دوّن قواعد الموشّح في كتابه " دار الطراز " وأسامة بن منقذ صاحب كتاب " البديع في نقد الشعر" و ابن الأثير و هو أهمّ النقاد في تلك القرون صاحب كتاب "المثل السائر ."

المحاضرة الخامسة: النقد الانطباعي

1-مفهوم النقد الانطباعي:

هو النقد الّذي يعتمد على الذوق الخاص للناقد، القائم على التجربة الشخصية، يحكم الناقد فيه باستحسان العمل الأدبي أو استقباحه دون أن يعلّل ذلك أو يفصح عن أسبابه، وإنّما يستند في حكمه على ذوقه، ويستفتي انطباعه النفسي عن القصيدة. وقد مثّلت هذه المرحلة بدائية النقد عند جميع الأمم. وهو يعرف أيضا بالنقد الذاتي التأثري أي النقد الّذي يكون مبعثه الإحساس بأثر الشعر في النفس، وعلى مقدار وقع الكلام على الناقد.

2-ظهور مصطلح النقد الانطباعي:

ظهر هذا المصطلح في أواخر القرن التاسع عشر في فرنسا، حيث أطلقت الانطباعية أوّل الأمر على مدرسة في التصوير ترى أنّ الرسام يعبّر –في تجرّد وبساطة–عن الانطباع الّذي ارتسم فيه حسيّا، بصرف النظر عن كلّ المعايير العلمية فالمهمّ هو الانطباع الّذي يضفيه الضوء مثلا على الموضوع لا الموضوع نفسه.

3–النقد الانطباعي في الأدب العربي القديم:

ظهر النقد في العصر الجاهلي مع ظهور الشعر، وأوّل ما عرف عُرف أوّليا، يحتكم إلى تأثّر الناقد بالقصيدة الّتي تعاطاها وخلّفت لديه انطباعا ما. فبناء على هذا الانطباع يبدي حكمه الفوري. ويعرف هذا النوع من النقد بالنقد الذّاتي التأثري، إذ يرجع العرب–في كلّ ما يتّصل بأدبهم–إلى السليقة، يصدرون عنها في أحكامهم الّتي تدور حول ما استخدموا من أنماط أدبية. وتذوّق الجمال في الأدب يعود عندهم إلى الطبع الّذي نشأوا عليه وبيئتهم العربية الأصيلة في كلّ جوانبها، لذا نجد نقدهم مطابقا لفطرتهم، صادرا عن أذواقهم وتأثّرهم بالجمال حسبما تعوّدوا عليه من تمييز بين الغثّ والثمين في فنون القول. وقد كانت للنقد الانطباعي في العصر الجاهلي عدّة اتّجاهات وصلتنا حسب المواقف الّتي تمّ فيها الحكم من قبل العالمين بالشعر والشعراء الناقدين لشعر غيرهم. وانطلاقا من النصوص النقدية الّتي خلّفها لنا التاريخ يمكننا التمييز بين عدّة اتجاهات نقدية في العصر الجاهلي.

أوّلا: النقد اللغوي:

وهو النقد القائم على الوقوف عند مواطن الخطأ في الاستعمال اللغوي. فقد كان العربي على صلة وثيقة بأسرار لغته، يدرك بفطرته الدلالة الوضعية للكلمات، فإذا ابتعد الشاعر عن تلك الدلالة واستعمل الكلمة في غير موضعها المناسب أحسّ المتلقّي بذلك إحساسا مباشرا وانتقده بما تجود به قريحته.

من أمثلة ذلك ما روي عن أبي عبيدة قال: مرّ المسيب بن علّسة بمجلس بني قسي بن ثعلبة فاستنشدوه فأنشدهم:

ألا أنعم صباحا أيّها الربع واسلم نحيك عن شطح وإن لم تكلّم

و لما بلغ قوله:

وقد أتناسى الهمّ عند إدراكــه بــج عليــه الصيـعريــة مكـدم

قال طرفة وهو صبي يلعب مع الصبيان: "استنوق الجمل." فالصيعرية سمة الإناث لا الفحولة والشاعر أخطأ في إطلاق صفة الإناث على الذكور من الإبل. وقد تفطّن له طرفة وأدرك الخطأ بفطرته وانتقد الشاعر مباشرة بعد سماعه للأبيات.

ثانيا: النقد المعنوي:

كان العربي شديد الحساسية بلغته، يدرك بفطرته أنّ اللغة وضعت للتعبير عن ذاته وعن إحساسه و عن قيمه و مثله، و عن البيئة و الطبيعة من حوله. فإذا وافقت لغة الشاعر المعنى الّذي عبّر عنه موافقة سليمة رضي المتلقي عنها و عبّر عن رضاه و إعجابه، أمّا إن ابتعدت العبارة عن إصابة الهدف كأن ينحرف إلى مبالغة لا يرضاها أو إلى معنى لا يرى صحّة الإفضاء به أو التحدّث فيه لبعده عن قيمه العامّة و مثله، نفر منها و استهجنها. والأمثلة عن النقد المعنوي كثيرة من ذلك ما عيب عن المهلهل بن ربيعة في قوله:

فـلولا الريـح أسمع أهل حجر صليل البيـض تقـرع بالـذكـور

فقد وصف هذا البيت بأكذب ما قالته العرب، لأنّ منزله كان على شاطئ الفرات وحجر هي اليمامة، والمسافة بينهما مسيرة أيام.

ثالثا: النقد العروضي.

ارتبط الشعر العربي في نشأته ببعض الأنغام الموسيقية، حيث اتّفق الشعراء على نغمات معيّنة تأتلف جميعها في الوزن والقافية، ونتج عن هذا الاتّفاق أنّ الأذواق العربية في الجاهلية ألفت هذه الرتابة الّتي تحقّقها وحدة الإيقاع و النغم. ونفرت العرب من كلّ ما هو نشاز. مثل ذلك ما عابته على النابغة الذبياني حين وقع الإقواء في قوله :

أمن آل مية رائح أو مغتـدي عجــلان ذا زاد وغيــر مزوّدِ

زعم البوارح أنّ رحلتنا غدت وبذلك خبّرنا الغراب الأسـودُ

قال الرواة: فقدم النابغة المدينة فعيب ذلك عليه فلم يأبه حتّى أسمعوه إيّاه غناء، فانتبه النابغة للإقواء فلم يعد إليه و قال: "قدمت الحجاز و في شعري ضعة و رحلت عنها و أنا أشعر الناس".

رابعا: تقديم الشعراء:

من صور نقد الشعر الذاتية عند الجاهليين، تقديمهم شاعرا على غيره تقديما مطلقا دون إبداء رأي معقول يسوغ التقديم أو يعزّز الحكم ويخرج به عن حيّز الذاتية وأثر الهوى. من أمثلة ذلك أنّ النابغة الذبياني جلس في قبّته في "سوق عكاظ" يحكم بين الشعراء فأنشده الأعشى ثمّ حسان بن ثابت ثمّ أنشدته الشعراء ثمّ الخنساء الّتي أنشدته قصيدتها في رثاء أخيها صخر ومنها:

وإنّ صخرا لتأتمّ الهداة به كـأنّـه عـلـم فـي رأســه نـــار

فقال: والله لولا أنّ بصير-يريد الأعشى-أنشدني آنفا لقلت إنّك أشعر الجن والإنس.

فقال حسان: و الله لأنا أشعر منك و من أبيك.

فقال له النابغة: يا أخي أنت لا تحسن أن تقول:

فإنّك كالليل الّذي هو مدركي وإن خلت أنّ المنتأى عنك واسع.

قال فحسن حسان لقوله.

ومن الروايات أيضا قول النابغة: أنّه اجتمع لديه الأعشى وحسان بن ثابت والخنساء. فقدّم الأعشى وأخرى حسان فغضب حسان وقال له: والله لأنا أشعر منك. فقال له النابغة: حيث تقول ماذا؟ قال حسان حيث أقول:

لنا الجفنات الغرّ يلمعن في الضحى وأسيـافنـا يقطرن من نجـدة دمـا

فقال النابغة: إنّك شاعر، ولكن أقللت أجفانك وأسيافك. فقد عاب عليه استخدام "جفنات" و"أسياف" لأنّها تفيد القلّة، و أمّا الكثير منها يقال له "جفان" و"سيوف"، كما عاب عليه استعمال "الضحى" و كان الأبلغ أن يقول "الدجى" لأنّ الضيف أكثر ما يكون طروقا بالليل.

ومن هذه النماذج النقدية أيضا ما نقل عن منازعة امرئ القيس وعلقمة بن عبدة الفحل واحتكامهما إلى أمّ جندب زوجة امرئ القيس في أيّهما أشعر. فطلبت منهما إنشاد بيت شعري على

رويّ واحد وقافية واحدة يصفان فيه الخيل. ولما أنشدا حكمت لعلقمة، فسألها زوجها لماذا؟ فقالت: لأنّك قلت:

فللزجر ألهوب وللساق درّة وللسوط منه وقع أخرج مهذّب

فجهدت فرسك بسوطك و مريته فأتعبته بساقك. و قال علقمة:

فأدركهــنّ ثانيــا من عنـانه يمــرّ كمــرّ الرّائـح المتحـلب

فأدرك فرسه ثانيا من عنانه، لم يضربه و يتعبه.

4-خصائص النقد في العصر الجاهلي :

أوّلا: الذوق الفطري

يعتمد فيه على ذوق الشاعر و سلامة سليقته، فلم تكن للنقد أصول معروفة أو متّفق عليها، و لم تكن له مقاييس مقرّرة. كما لم يكن ممنهجا، بل كان مجرّد لمحات ذوقية و"نظرات شخصية تقوم على ما تلهمهم به طبائعهم الأدبية و سليقتهم العربية، و أذواقهم الشاعرة، وحسّهم اللغوي الدّقيق بلغتهم، و إحاطتهم بأسرارها و وقوفهم على ما للألفاظ من دلالات و إيحاءات في شتى صورها.

ثانيا: الارتجال في الحكم:

بعد أن يتذوّق الناقد الشعر يصدر حكمه إمّا ارتجالا أو بعد رويّة ليرى مواطن الجودة أو الرداءة، وسمة الارتجال هي السمة الغالبة في النقد الجاهلي، حيث لا وجود لرأي مدعّم بالبرهان و الحجة.

ثالثا: الجزئية:

لم يكن النقد يتتبع النص الأدبي كلّه، بل كان يتناول جزئيات من القصيدة كجانب الألفاظ أو جانب المعاني أو جانب الوزن.

رابعا: العموم:

كأن يطلق الناقد أحكامه لصالح شاعر ما بالعموم دون أن يذكر سببا أو يردف عليه، من ذلك حكم الحطيئة حين سئل من أشعر العرب فأجاب: أشعر العرب الّذي يقول:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتّق الشّتم يشتم

يقصد زهيرا. ومن ذلك أيضا حكمهم على بعض القصائد بأنّها بالغة منزلة عليا في الجودة مقارنة مع غيرها، كحكمهم على قصيدة سويد بن أبي كاهل اليشكري الّتي مطلعها:

بسطـــت رابـعـــة الحبـل لنـا فوصلنـا الحبل منها ما اتّسع

بأنّها من خير القصائد، بل بلغ الأمر بهم إلى أن أطلقوا عليها "يتيمة الدّهر".

خامسا: الإيجاز:

فالناقد كثيرا ما يغلّف حكمه النقدي بعبارة موجزة توضّح موقفه دون شرح أو تفصيل. فطبيعة الأحكام النقدية في العصر الجاهلي اتّسمت بالانطباعية والتأثير الذاتي، واعتمدت على تذوق الشعر اعتمادا كبيرا. من ذلك نقد طرفة لشعر المتلمس حين قال "استنوق الجمل. "فهذه عبارة موجزة تحمل حكما نقديا عاب به على شعر المتلمس الّذي أضفى صفة الناقة على الجمل.

المحاضرة السادسة: النقد في صدر الإسلام

كان عصر البعثة حافلا بالشعر فياضا به وإن ضعف في بعض نواحيه بسبب التفاف الناس حول النص القرآني ودخولهم في الإسلام ومن ثمّ انشغالهم في الجهاد ومتابعة القضايا الدّينية و السياسية الجديدة. إلاّ أنّ الخصومة الّتي كانت بين النبي —صلوات الله عليه وسلامه–وقريش بل و سائر العرب، لم تقف عند حدّ السيف و السندان بل امتدّت إلى الشعر و البيان، و إلى المناظرات و الجدل، و إلى المناقضات بين شعراء المدينة و شعراء مكّة و غير مكّة من الّذين خاصموا الإسلام و ألّبوا العرب عليه. فكان لرسول الله–صلّى الله عليه و سلم–و الدّين الإسلامي شعراء يذودون عنه بما أوتوا من سحر البيان و ما اكتسبوا من قيم أخلاقية.كما كان للفريق الثاني شعراؤه الّذين يقومون له حميّة و تعصّبا.

وما تجدر الإشارة إليه هو أنّ الإسلام لم يقف من الشعر موقفا سلبيا، بل شجع الشعراء وحثّهم على القول ضمن إطار الفكر المتّفق مع تعاليمه واتّخاذهم سلاحا من أسلحته.

أوّلا: النظرة النبوية:

رسم الرسول–صلى الله عليه وسلم–للشعر نهجه الّذي ينبغي أن يسير عليه، وقد روي عنه قوله "لا تدع العرب الشعر حتّى تدع الإبل الحنين." وكان وهو أكثر العرب فصاحة يتذوّق الكلام الجيّد ويخوض في الحديث مع الوافدين عليه ممّن أسلموا، ولذا لم يكن من الغريب أن يتحدّث الشعراء في مجلسه وأن يكثر اجتماعهم به. وكان عليه الصلاة والسلام يؤثر من الشعر ما يلائم دعوته ويوافق مكارم الأخلاق. فقد أعجب بشعر النابغة الجعدي، وبلغ استحسانه لــ "بانت سعاد" أن صفح عن كعب بن زهير وخلع عليه بردته، حتّى سمّيت قصيدته بالبردة. واستمع إلى الخنساء واستزادها ممّا تقول، وهو الّذي دعا حسان بن ثابت ليجيب وفد تميم. وهو الّذي قال "إنّ من الشعر لحكمة وإنّ من البيان لسحرا." والحديث عن النظرة النبوية في النقد الأدبي يتوجب الوقوف عند ثلاث صور:

أ– نقد المضمون:

كان نقد النبي–صلى الله عليه وسلم–نقدا توجيهيا، يدفع الشعر للاغتراف من بحر العقيدة و النهل من ينبوعها الثرّ. فكلّ ما يتّفق معها فهو الحقّ، وكلّ ما يجافها فهو مرفوض مستهجن، يحتاج إلى توجيه وتصويب. وكان يعجب بالشعر الجيد كقول النابغة الجعدي:

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوة أن تكدّرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقد أبدى الرسول– عليه الصلاة و السلام– ارتياحا لما سمعه من الروح الدّينية و دعا له قائلا" أجدت لا يفضض الله فاك ".

و عندما أنشده كعب بن زهير مادحا و تائبا:

إنّ النبي لنور يستضاء به سيف من سيوف الهند مسلول

قال له مصحّحا "بل من سيوف الله".

ب–نقد الشكل :

حدّد الرسول صلى الله عليه و سلم–ملامح مهمّة لفنّ القول، و من هذه الملامح الطبع و التكلّف فقد ذمّ التكلّف و نهى عنه، كما نهى عن المبالغة و حذّر من التشدق و التنطّع فقال –

صلى الله عليه و سلم- "هلك المتنطّعون" أو "هلك المكثرون." كما دعا إلى حسن اختيار الألفاظ و انتقائها بحيث تشاكل المعاني و تليق بها. وهذا ما يعرّفه البلاغيون بمشاكلة اللفظ للمعنى، أي اختيار الألفاظ الّتي تعبّر عن المعنى بلفظ جميل. و كان-عليه الصلاة و السلام- يميل في فنّ القول إلى الإيجاز و عدم التطويل، فقلّ كلامه و تنزّه عن الحشو و برئت نظراته النقدية من شوائب الإطالة.

ج- تقديم الشعراء:

كان الرسول-صلى الله عليه وسلم-عارفا بمكانة الشعراء وأقدارهم، ومدى ما يمكن أن يبلغه شعر كلّ منهم. وكان يقدّم حسان بن ثابت على شعراء الدعوة الإسلامية الثلاثة. وكان يدرك شاعريته، فقد استطاع هذا الأخير أن يبلغ من الكفّار ما لم يبلغه صاحباه، يتجلّى ذلك في قوله-عليه صلوات الله وسلامه-"أمرت عبد الله بن رواحة فقال فأحسن، وأمرت كعب بن مالك فأحسن، و أمرت حسان بن ثابت فقال فشفى واشتفى." وبسبب هذا التقدير لشاعرية حسان وإدراك النبي لها، كان يستدعيه في الملمّات وطلب منه أن يقول، مثلما حدث يوم قدم وفد تميم وفيهم شعراؤهم و طلبوا مناظرة مع شعراء النبي فأخرج إليهم حسان بن ثابت وراح ينشد ضدّ الزبرقان حتّى قال:

منعنـــا رسـول الله مـن الغضـــب لـه على أنـف راض من معـدم وراغـم

هل المجـد إلاّ السؤدد الفـــرد والندى وجـــاه الملوك واحتمال العظائـــم

فوقف الأقرع بن حابس فقال: إنّ هذا الرجل لمؤتى له، والله لشاعره أشعر من شاعرنا ولخطيبه أخطب من خطيبنا، ثمّ أسلموا جميعا.

فالنبي – صلّى الله عليه وسلم-كان يبدي حسّا نقديا مرهفا وموهبة عالية في تذوّق الشعر وتمييز أقدار الشعراء ومكانتهم. ومن خلال هذه المواقف وغيرها يتبيّن أنّ العرب لم تكفّ عن النظر في الشعر في عهد البعثة الإسلامية وظلّ النظم متواصلا ومعه النقد على بساطته وتلقائيته وفطرته نقدا انطباعيا محضا، إلاّ أنّه أخذ منحا آخر وهو المنحى الأخلاقي، بحيث نهى عن الحمية الجاهلية و التعصّب والتفاخر و الهجاء و دعا إلى النظم في مواضيع و أغراض تدعو إلى مكارم الأخلاق.

ثانيا: نظرة الخلفاء الراشدين:

يعدّ عمر بن الخطاب–رضي الله عنه–أكثر الخلفاء الراشدين تأثيرا في النقد العربي. بل يعتبره بعض الدارسين من أهمّ النقاد في ذلك العصر، يقول ابن الرّشيق: "كان عمر رضي الله عنه عالما بالشعر قليل التعرّض لأهله." وكان على دراية عميقة باللغة ومعرفة دقيقة بأسرارها وكان من أنقد أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة. روي عن ابن عباس: قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنشدني لأشعر شعرائكم. قلت: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال الّذي يقول:

ولو أنّ حمدا يخلد الناس أخلدوا ولكن حمد النـاس بمخلد

قلت: ذلك زهير. قال فذاك شاعر الشعراء. قلت: و لم كان شاعر الشعراء؟ قال: لأنّه كان لا يعاظل في الكلام، وكان يتجنب وحشي الشعراء، و لم يمدح أحدا إلاّ بما فيه.

ونلاحظ أنّ عمر في حكمه النقدي هذا انتهج التعليل والتبرير وسطّر معايير لهذا الحكم:

أ –خلو الشعر من التعقيد والغموض.

ب–الابتعاد عن الوحشي والغريب.

ج–الصدق وعدم الكذب.

تحدّث مرّة مع وفد غطفان فقال: أيّ شاعركم الّذي يقول:

أتيتــك عاريــا، خلقـا ثيـابي على خـوف تظـنّ بـه الظنـــون

قالوا النابغة. فقال: أيّ شاعركم الّذي يقول:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة و ليــس وراء الله للمــرء مذهــب

قالوا: النابغة. فقال: أيّ شاعركم الّذي يقول:

فإنّك كالليل الّذي هو مدركي و إن خلت أنّ المنتأى عنك واسع

فقالوا: النابغة. فقال هذا أشعر شعرائكم.

و كان عمر يفضل من الشعر ما يجمع بين الحذق في الصناعة الشعرية و الصدق في القول والوصف، وكان يرفض شعر الهجاء و المفاخرات و المناقضات و الغزل الإباحي، ممّا ينمّ عن فطنته و ثقافته و طبعه وحبّه الشديد للشعر و تذوّقه.

-كما صدرت عن أبي بكر الصديق-رضي الله عنه-بعض النظريات منها ما يتّصف بنقد المعنى و توجيهه إلى النظرة الإسلامية، حيث يروى أنّ لبيد الشاعر المخضرم أنشده:

ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل

قال أبو بكر:صدقت.

فلمّا قال لبيد: وكلّ نعيم لا محالة زائل.

قال: كذبت، عند الله نعيم لا يزول.

-وكان عثمان بن عفان-على زهده و نسكه- يتذوّق الشعر و ينظر فيه و ينتقده معلّلا أحكامه، أنشد قول زهير:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

فأعجبه صواب معناه، و قال: أحسن زهير و صدق.

-أمّا علي بن أبي طالب-كرّم الله وجهه-فقد منحه الله موهبة تهديه إلى تذوّق الشعر وتفسيره، و تعينه على التّقدير و التّقويم. وقد ظهرت بعض النظريات النقدية في تراثه الأدبي وصارت محلّ إعجاب وتقدير النقاد العرب. فقد روى ابن رشيق أنّ عليّا كان يقول "الشعر ميزان." وكان يزن الشاعر بما يتميّز به من فكر، ويؤكّد أنّ التفاضل بين الشعراء لا يكون إلاّ إذا جمعهم زمان واحد وغاية واحدة ومذهب واحد.

*على أنّ النقد في صدر الإسلام ارتبط ارتباطا وثيقا بالمقياس الأخلاقي و الدّيني " و الظاهر أنّ النقد قد اتّسع أفقه و تنوّعت رجاله، و جنح إلى شيء من الدقّة و حاول أن يحدّد بعض خصائص الصياغة و المعاني، و تأثّر شيئا ما بروح البناء و التأسيس الّتي سادت فيما كانت تجدّ أمام المسلمين من شؤون التشريع، و ليس عجيبا أنّ كثيرا من الإعجاب انصرف في عصر الإسلام إلى الشعر

الخلقي، إلى شعر الفضائل و العظات، إلى شعر المروءة و الهمّة. "كما وجّه الدّين الجديد الشعراء إلى ضرورة الالتزام بالأفكار والاتّجاهات الّتي تلائم روح الإسلام الدّينية والأخلاقية.

المحاضرة السابعة: النقد في العصر الأموي.

شهد النقد في العصر الأموي ازدهارا كبيرا، حيث خطا خطوات بارزة نحو التطور والارتقاء، ويعود ذلك إلى مجموعة من العوامل الّتي ساعدت على ازدهاره، منها استقرار العرب في الأقطار المفتوحة وتأثّرهم بالحضارات الأجنبية واهتمام الخلفاء الأمويين بالشعر والنقد وممارستهم له وتشجيعهم عليه وبخاصّة في بلاد الشام مقرّ الخلافة الأموية .كما أنّ الصراع السياسي الّذي اشتعلت نيرانه في ذلك العصر كان عاملا من العوامل الّتي أذكت روح الأدب وأثّرت في موضوعاته وأدّت إلى بروز حركة نقدية متطوّرة. إلى جانب عامل آخر لا يقلّ أهمّية عن العوامل الآنفة الذكر وهو بروز العصبية القبلية، ممّا قوّى الخصومة بين الشعراء وأشعل بينهم نيران الهجاء.

وقد ظهرت في العصر الأموي ثلاث مدارس نقدية مختلفة الاتّجاهات ومنها:

أ-مدرسة الحجاز:

ازدادت أهمية منطقة الحجاز ومكانتها في صدر الإسلام وخلال الحكم الأموي ممّا كانت عليه أضعاف مضاعفة، فقد أصبح الحجاز خزانة للأموال الّتي جمعها الأمراء وقادة الجيوش الإسلامية من خلال الفتوحات للعديد من الأمصار. وقد لجأ إليه بسبب ما كان عليه من ثراء واستقرار العديد من أعيان العرب وأثريائهم من مختلف الجهات. وقد نجم عن هذا الاستقرار والترف ظهور الجواري غير العربيات اللّواتي جئن من مختلف النواحي، فظهر الغناء وفشا بعض الفساد. وقد كان الحجاز من ناحية أخرى مركزا دينيا يدرس فيه القرآن، ويشرح فيه الحديث من قبل أهل العلم بالدين والفقه، فصار العديد من الرجال المسلمين يفدون إليه من مختلف الأقطار الإسلامية ليأخذوا عن رجاله علمهم بالكتاب والسنة، وممّا استنبطوه من أحكام شرعية في مختلف القضايا. وقد أصبح الحجاز نتيجة لهذه العوامل مركزا دينيا وبيئة للهو والترف في آن واحد .

وقد ازداد بمرور السنين تدفّق الأموال من الشام " مركز الخلافة " على أهل الحجاز لجلب ولائهم و تأييدهم و إسكات المعارضين للخلافة، و صرف نظرهم عن المطالبة بالسلطة نتيجة للخلاف الّذي كان حول من هو أحقّ بالخلافة بين الأمويين و بين من شايعوا عليا. و قد استمال ذلك الجوُّ المترف

الهادئ الناسَ نحو الأخذ بمتع الحياة و أسباب اللهو كالغناء و الموسيقى، ممّا طبع الحياة هناك بطابع يندر وجوده في البيئات الأخرى.

وقد عكس الشعراء في شعرهم هذا الجوّ المرح حيث مالوا هم كذلك إلى شعر الغزل الذي رسموا فيه صورا عن واقع الحياة في بيئتهم، وامتد ذلك إلى النقد كذلك حيث انكب النقاد حول هذا اللون من الشعر يحلّلون ويبحثون ما فيه من مظاهر الضعف أو القوة و الجمال. و من أبرز الأسماء الناقدة شخصيتان هامتان هما: ابن أبي عتيق الّذي ينتمي نسبه إلى أبي بكر الصديق، و السيدة سُكَيْنَة بنت الحسين بن أبي طالب حفيدة الرسول–صلى الله عليه و سلم–. و قد ترجمت أحكام السيدة سُكينة النقدية ذوقَ جيل ذلك العصر، وكان العديد من الشعراء يفدون إليها و يلتقون بها في مجالسها فتناقشهم و تعيب عليهم أشعارهم. و ممّا ورد عنها من شواهد نقدية في هذا الموضع حكمها على بيت جرير:

طرقت صائدة القلوب و ليس ذا حين الزيارة فارجعي بسلام.

فلاحظت أن في البيت خللا قائلة: أفلا أخذت بيدها و رحبت بها، و قلت: ادخلي بسلام، أنت رجل عفيف .

فقد فرقت الناقدة بين الكلام عن الأحاسيس العاطفية وبين الأخلاق، فالشاعر هنا يتكلّم عن العواطف لا عن الأخلاق، وفرق كبير حين يستقبل الإنسان شخصا ما وحين يستقبل عزيزا عليه .

و قد روت عنها كتب الأدب نماذج كثيرة من نقدها الظريف، فقد سمعت " نُصَيْبا" يقول:

أَهِيمُ بِدَعْدٍ مَا حَيِيتُ فَإِنْ أَمُتْ فَوَاحُزْنَا مَنْ ذَا يَهِيمُ بِهَا بَعْدِي

فعابت عليه صرف نظره إلى من يعيش مع " دَعْد " بعده ورأت الصواب أن يقول :

أَهِيمُ بِدَعْدٍ مَا حَيِيتُ فَإِنْ أَمُتْ فَلاَ صَلُحَتْ دَعْدٌ لِذِي خُلَّةٍ بَعْدِي .

و كان "ابن أبي عتيق" من رجال التيار النقدي الّذي يفحص و يدرس هذا اللون من شعر الغزل المعبّر عن الحياة المترفة المتحضرة، و من شواهد نقده في هذا الموضوع أنه سمع مرة عمر بن أبي ربيعة ينشد شعرا في غرض الغزل :

بينمـا ينعتننـي أبصـــرننـي دون قيد الميل يعدو بي الأغـرّ

قالت الكبرى أتعرفـن الفتـى؟ قالت الوسطى: نعم هذا عمـر

قالت الصغرى و قد تيمتهـا قد عرفناه و هل يخفى القمـر؟

فقال ابن أبي عتيق معلقا على مضمون ما قال: أنت لم تنسب بها إنما نسبت بنفسك، أي كأنّه لم يتغزّل بالمرأة إنما تغزّل بنفسه .

و قد برز إلى جانب هؤلاء النقاد نفر من الشعراء مارسوا النقد إلى جانب الشعر، فقد سمع عمر بن أبي ربيعة " كُثَيِّرًا " يقول :

ألا ليتنا يا عَزُّ كنا لدى غنى بعيرين نـرمـى فـي الخـلاء و نـعـــزب

كـلانـا به عـرف من يرنـا يقـول على حسنهما جرباء تعدي و أجرب

إذا ما وردنا الماء صاح أهله علنا فمـــا ننفـك نُرمـــى و نُضـرب

فقال عمر: تمنيت لها و لنفسك الرّق و الجرب و الرمي و الطرد و المسخ، فأي مكروه لم تتمنّ لها و لنفسك، لقد أصابها منك قول القائل: " معاداة عاقل خير من مودّة أحمق."

وقد حدّد النقاد الحجازيون مقياس الغلو والمبالغة في رسم العاطفة، ومن ثمة صار إذا ما عبّر الشاعر عن عاطفته بغُلُوّ أو بصورة خارجة عن المألوف كانت غريبة مضحكة تشبه النوادر. قال عمر لابن أبي ربيعة شعرا فيه غلو :

و مَن كانَ مَحْزُونًا بإهْرَاقِ عَبْرَةٍ و هيَ غَرْبُـهَـا فلْيَأتِنَـا نَبْكِـهِ غَـدَا

نُعِنْهُ عَلى الأثْكَال إنَ كانَ ثَاكلاً وإنْ كان مَحزونًا و إن كَان مقصِدَا

فمضى بن أبي عتيق إلى عمر وقال له: جئناك لموعدك، قال: وأي موعد بيننا، قال: قولك: " فليأتِنَا نَبْكِهِ غَدَا ". وقد جئناك والله لا نبرح أو تبكي إن كنت صادقا أو ننصرف على أنّك غير صادق ثمّ مضى وتركه.

إن مثل هذه الصور زائدة عن اللزوم في التعبير عن الأحاسيس العاطفية والمواقف وبالتالي فهي صور ساخرة غير مقبولة لأنها غير صادقة.

ب- مدرسة العراق :

اختلف الشعر في بيئة العراق عما كان عليه في الحجاز والشام، فالشعر في العراق يشبه إلى حد كبير الشعر الجاهلي في مضمونه وأسلوبه، ويعود ذلك إلى عامل العصبية القبلية التي عادت إلى الظهور من جديد بعد أن تلاشت في صدر الإسلام حيث نبذها الإسلام، وكانت أغلب موضوعات الشعر في العراق في الافتخار والاعتزاز وهجاء الخصوم بالهجاء المر المقذع. أما غرض الغزل وغيره من الأغراض الأخرى، فكانت ليست ذات أهمية وقليلة الرواج، فانحصر الشعر غالبا في تلك النقائض الّتي حمل لواءها بالخصوص الشعراء الثالوث الخطير: الفرزدق وجرير والأخطل الّذين جعلوا من العراق أشهر مكان للتنافس والتباري في هذا اللون من الشعر.

وقد ساعد على انتشار شعر النقائض وولوع الناس به في سوق الشعر الّذي كان يشبه سوق عكاظ في الجاهلية، يفد إليه الناس من كلّ جهة، ويجتمع فيه الشعراء ينشدون الأشعار في صورة تشبه ما كان عليه في الجاهلية من مفاخرة بالأنساب وتعاظم بالكرم و الشجاعة و إبراز ما لقوم كلّ شاعر من فضائل وأيّام.

وقد كان لكلّ شاعر حلقة ينشد فيها شعره ويحمّس أنصاره في جوّ مملوء بالهرج والنقاش حتى قيل أن والى البصرة ضج بما أحدثه هؤلاء الشعراء من صخب و اضطراب في أوساط الناس فأمر بهدم منازلهم.

قد احتفظت العديد من الكتب النقدية القديمة بصور ونماذج من هذه الحركة الشعرية و النقدية، و ما كان يجري بين جرير و الفرزدق و الأخطل حيث يقوم الشاعر بنظم قصيدة في هجاء خصمه و الافتخار بذاته و بقومه على وزن خاص و قافية خاصة، فيقوم الآخر بنقضها بنظم قصيدة مماثلة و يحوّلها إلى هجاء مضاد على نفس الوزن و القافية. وقد تشكلت في هذا الإطار ثلاثة معسكرات، كل واحد تعصب لشاعر وفضله على خصمه و التمس محاسن شعره فيشيعها، و يبحث عن معايب الآخر فيشهّر بها.

وقيل إنّ الأخطل تحالف مع الفرزدق ضدّ جرير لكنّ جريرا أفحمهما. وقيل إنّ كذا وأربعين شاعرا تحالفوا ضده فأسكتهم لقدراته ومهارته في هذا الفن. وقد كانت هذه الخصومات سببا في غلبة هذا الاتّجاه على الشعر والنقد في العراق حتّى اعتبر الشاعر غير السائر على طريقة هؤلاء في المدح والهجاء شاعرا متخلّفا ضعيفا .

قال ذو الرمّة مرّة للفرزدق: مالي لا ألحق بكم معشر الفحول؟ فقال له: لتجافيك في المدح والهجاء واقتصارك على الرسوم والديار. أي أنّه مازال ينظم على منوال القدماء ولم يساير الظروف. لذلك لا نجد أثرا لمثل ذلك النقد الّذي كان في الحجاز أو الشام وإنّما نجد نقدا آخر يتلاءم مع طبيعة البيئة العراقية، وما كان فيها من شعر حيث اتّجه النقاد هناك إلى الموازنة بين الشعراء، وأي الثلاثة أشعر؟ وسمّوا هذا قضاء وسمّوا الّذي يحكم قاضيا، وسمّوا الحكم و الحاكم أي الناقد " حكومة .

و قال جرير في الأخطل لما فضل الفرزدق عليه

فدعوا الحكومة لستموا من أهلها إن الحكومة في بني شيبان

غير أن هذا النوع من النقد لم يكن الوحيد في العراق لأنّ هناك بعض الشعراء من قال شعرا خارج شعر النقائض، و لذلك راح بعض النقاد يعنى بمميّزات شعر الشاعر، و ما تفرد به عن غيره، و البحث عن مواطن ضعفه و قوّته و موازنته بغيره و إصدار الحكم عليه، كحكم الفرزدق على النابغة الجَعْدِيّ بأنّه صاحب " خُلْقَان " و البيت يساوي عنده آلاف الدراهم و البيت لا يساوي إلاّ درهما. وحكمه على ذي الرمّة بجودة شعره لولا وقوفه عند البكاء على الدِّمَن. وكذا حكم جرير على الأخطل بأنّه يجيد مدح الملوك. وموازنة الأخطل بين جرير والفرزدق بأنّ جريرا يغرف من بحر، والفرزدق ينحت من صخر.

و إلى جانب نقد الموازنة في شعر النقائض، و كذا النقد الّذي يعنى بإبراز ما تفرّد به بعض الشعراء في شعرهم عن غيرهم، فهناك نقد يعنى بالمعاني الجزئية في شعر الشاعر دون موازنته بغيره، فقد نقد الحجاج الفرزدق حين مدحه في قوله :

من يأمن الحجّاج و الطير تتّقى عقوبته إلاّ ضعيف العزائم

فقال الحجاج: الطير تتّقى كلّ شيء حتى الثوب و الصبي. و فضّل عليه قول جرير فيه نفس المعنى :

من يأمـن الحجـاج أمنّا عقابـه فمُـرٌّ وأمّـا عهـدُه فوثِيــق .

ج- مدرسة الشام :

إن كان أكبر مظهر الأدب في بيئة الحجاز هو الغزل و أكبر مظهر للأدب في العراق هو الفخر و الهجاء فإنّ أكبر مظهر للأدب في الشام هو المديح، و لذلك اختلفت الحركة النقدية في الشام على ما كانت عليه في الحجاز و العراق، فقد عاشت الحركة النقدية هناك في بلاط الخلفاء الأمويين، و في قصور وُلاّتهم في مختلف الأقاليم و الأمصار، و سبب ذلك أنّ دمشق كانت عاصمة الخلافة الأموية يفد الشعراء إلى خلفائها من كلّ الجهات، و كان بنو أمية عربا أقحاحا فصحاء يتذوّقون الشعر و يعجبون به و يطربون لسماعه و يكافئون الشعراء عليه، و كانت قصورهم شبه منتديات للشعر و مراكز للمناقشات(أي النقد) في مختلف القضايا الأدبية. وما يناسب القصور هو المديح، لذلك لوّن الشعر هناك بهذا اللّون، ولوّن النقد بلونه أيضا.

وقد شجّع الخلفاء الشعراء على مدحهم والردّ على خصومهم شيعة وزبيريين ومنحوهم مقابل ذلك جوائز مالية معتبرة. و من أبرز هؤلاء الشعراء كثيّر عزّة و الأخطل. وقد ارتبط النقد بطبيعة هذا الشعر. ومن أشهر نماذج شعر المديح ذاك الّذي كان يعرض على الخليفة عبد الملك بن مروان لأنّ هذا الأخير كان يملك ذوقا أدبيا رفيعا مكّنه من الفهم العميق لمحتوى الشعر وصياغته و توجيه الشعراء و إرشادهم.

وقد تميّزت حركة النقد في الشام بميزتين: هما النقد الرسمي و النقد الفنّي. أمّا النقد الفنّي فيعنى بنقد الصورة الشعرية، وأمّا النقد الرسمي فهو ذلك الّذي يمثّل وجه الخلاف في الرؤيا بين الشاعر وبين الخليفة الممدوح في رسم صورته الشخصية، لأنّ رجل السلطة يرى نفسه شخصية متميّزة غير عادية، ومن ثمّ كان على الشاعر أن يأخذ ذلك في الحسبان. من ذلك ما جرى بين عبد الملك بن مروان وابن قيس الرقيات حين مدحه بقصيدة جاء فيها:

إنّ الأغرّ الّذي أبوه أبو العـا ص عليه الوقـار و الحجب

يعتـدل التـاج فـوق مفرقــه علـى جبيـن كأنّه الذهـب

فقال له الخليفة: يا بن قيس تمدحني بالتاج كأنّي من العجم! وتمدح مصعبا كأنّه شهب من الله، إشارة إلى قول الشاعر:

إنّما مصعب شهـاب مـن الله تجلّت عن وجهـه الظلمـاء

وقال جرير في يزيد بن عبد الملك:

هذا ابن عمّي في دمشق خليفة لو شئـت سـاقه إليّ قطينـا

فعلّق يزيد على معنى البيت قائلا: يقول لي ابن عمّين ثمّ يقول لو شئتُ ساقهم إليّ. أما لو قال: لو شاء ساقهم لأصاب، فقد جعلني شرطيّا له!

و كثيرا ما لفت عبد الملك بن مروان انتباه الشعراء إلى حسن رسم الصورة الشعرية بما يناسب مقامه و إبراز الفضائل الخلقية و الدّينية الّذي تثير إعجاب الرعيّة و الدّالة على التقوى و العدل و الفضيلة. وكان تقدير عبد الملك بن مروان للمقام و إحساسه بجودة المعنى و جمال الصورة دقيقا، ينمّ عن قوّة و عمق تذوّقه للشعر، فقد أنشده راعي الإبل مرّة:

أخليفة الرحمـن إنّا معشـر حنفاء نسجد بكرة و أصيلا

عـرب نـرى لله في أموالنـا حـقّ الزكــاة منـزّلا تنزيـلا

فقال له: ليس هذا بشعر إنّما هو شرح إسلام وقراءة آية. ويعني بذلك أنّ مثل هذا الشعر قيّم في مضمونه، جاف فقير من الناحية الفنّية، وبالتالي ليس بالشعر الجيّد الّذي ينبغي أن يكون كذلك في المعنى و المبنى.

المحاضرة الثامنة: قضية الانتحال في النقد العربي القديم

تعرّض الكثير من الشعر الجاهلي للضياع بسبب اعتماد الشعراء على الرواية دون التدوين الّذي لم يبدأ إلاّ مطلع القرن الثاني للهجرة مع الطبقة الأولى من الرواة العلماء الّذين تخصّصوا في رواية وتدوين الشعر الجاهلي.

فقد ثبت أنّ الجاهليين اعتمدوا الرواية لحفظ أشعارهم لما كانوا يتمتّعون به من ملكة أدبية فطرية. ومع هذه الحافظة القوية، أصيب الشعر الجاهلي–مع الضياع–بالافتراء والاختلاق عليه من قبل بعض الرواة، وهو ما حمل النقاد القدامى على نقد الرواة وتجريح الوضّاعين و التنبيه إلى الشعر المنحول. من هؤلاء المفضّل الضبي الّذي نقد حمّاد الراوية، فقد شهد وهو معاصر لحماد قائلا " قد سُلِط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبدا." فقيل له "وكيف ذلك أيخطئ في روايته أم يلحن؟" قال "ليته كان كذلك، فإنّ أهل العلم يردّون من أخطأ إلى الصواب ولكنّه رجل عالم بلغات العرب وأشعارهم ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل، ويدخله في شعره، ويحمل ذلك عنه في الآفاق، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميّز الصحيح منها إلاّ عند عالم ناقد. وأين ذلك؟"

وقد بلغ قول الضبي الخليفة المهدي فأكّده له بالامتحان بين يديه، فاعترف حمّاد بأبيات زادها في أشعار زهير بن أبي سلمى، فأمر المهدي بإبطال روايته لأنّه يدخل بأشعار الناس ما ليس منها، ووصل المفضّل لصدقه وصحّة روايته. فحمّاد الرواية كان يَخلط الشعر القديم بأبيات له، وقد أفصح عن ذلك جهارا حين اعترف قائلا: "ما مِن شاعر إلاّ قد زِدْتُ في شعره أبياتاً فجازت عليه إلاّ الأعشى، أعشى بكر، فإني لم أزد في شعره قطُّ غيرَ بيت فأفسدتُ عليه الشعر، قيل له: وما البيتُ الذي أدخلته في شعر الأعشى؟ فقال:

وأنكرتْني وما كان الّذي نَكِرتْ من الحوادث إلاّ الشَّيبَ والصلعَا"

كما نقد الأصمعي خلف الأحمر لأنّه كان يفعل فعل حمّاد، وقد قال عن نفسه إنّه كان ينظم الأشعار وينحلها غير أصحابها. وإنّه كان يأخذ من حماد الصحيح من أشعار العرب ويعطيه المنحول فيقبله. وكان خلف شاعرا مجيدا فينظم القصائد الجيّدة ويدخلها في دواوين الشعراء، ويقال إنّه صاحب القصيدة المنسوبة للشنفرى الّتي أوّلها:

أقيموا بني أمّي صدور مطيّكم فإنّي إلى أهل سواكم لأميل

وقال أبو حاتم كان خلف الأحمر شاعراً، وقد وضع على عبد القيس شعراً مصنوعا عبثاً منه. وأدخل أيضا على غيرهم من القبائل أبياتا وقصائد، وكان أهل البصرة والكوفة يأخذون ذلك عنه لأنّه كان لتمكّنه من الشّعر والشّعراء إذا نظم على ألسنة الناس أشبه كلّ شعر يقوله بشعر الّذي يضعه له. قال

الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: " لم يُر قط أعلم بالشعر والشعراء من خلف الأحمر. وكان يعمل الشعر على ألسنة الفحول من القدماء ولم يُمَيَّز من مقولهم". وقال ابن المعتز في طبقات فحول الشعراء: " أخبار خلف الأحمر. "حدَّثني محمد بن عبد الأعلى قال: حدَّثني أبو كردين قال: خلف الأحمر يكنى أبا محرز، وكان عالماً بالنحو والغريب والنسب وأيام الناس، شاعراً مطبوعاً مفلّقاً كثير الشعر جيّده. ولم يكن في نظرائه من أهل العلم و الأدب أكثر شعراً منه.

و لما مرض مرضه الّذي توفي فيه قال: ليست هذه الأبيات لمن ذكرتها له. و إنّما هي لي، و أنا قائلها. وأنا أستغفر الله، وكان قد نسك وترك قول الشعر برهة".

و قال دعبل: قال لي خلف الأحمر، و قد تجارينا في شعر تأبط شراً و ذكرنا قوله:

إنّ بالشِعـْب الّذي دون سَلـعٍ لقتيــلاً دمُه ما يُطـَلّ

أنا و الله قلتها، و لم يقلها تأبط شراً.

و قال ابن خلكان في وفيات الأعيان:" قال أبو زيد: حدثني خلف الأحمر، قال: أتيت الكوفة لأكتب عنهم الشعر، فبخلوا علي به، فكنت أعطيهم المنحول و آخذ الصحيح، ثم مرضت فقلت لهم: ويلكم! أنا تائب إلى الله تعالى، هذا الشعر لي، فلم يقبلوا مني، فبقي منسوباً إلى العرب لهذا السبب."

و قد رفض أبو الفرج الأصفهاني روايات ابن الكلبي عن دريد بن الصّمت و بعض أشعاره، فقد تنبّه إلى أنّها مكذوبة ملفّقة من قبل ابن الكلبي نفسه.كما أنّ أبا عمرو بن العلاء بعد أن ذكر أبياتا لذي الأصبع العدواني نصّ على أنّه لا يصحّ من أبيات ذي الأصبع إلاّ الأبيات الّتي أنشدها و أنّ غيرها منحول.

-و حتّى الرواة الثقاة كالأصمعي و أبي عبيدة و أبي زيد، قد كانوا يتطاعنون و يضعّف كلّ منهم رواية الآخرين و لكنّ المحقّين ينزهون هؤلاء عن الكذب. وقد قال محمد بن سلام الجمحي "في الشعر موضوع مفتعل مصنوع لا خير فيه ولا حجة بإعرابه." و لأبي القاسم عمر بن حمزة البصري كتاب في انتقاد الرواة سماه "التنبيهات على أغاليط الرواة" ضمنه التنبيه على الأغاليط الّتي وقعت في

نوادر أبي زياد الكلابي، و نوادر أبي عمرو الشيباني، و كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري، و الكامل للمبرد، و الفصيح لثعلب، و الغريب للقاسم بن سلام، و إصلاح المنطق لابن السكيت و غيرهم.

على أن المحقّقين في العصر العباسي الثاني كأبي الفرج الأصفهاني وابن قتيبة و ابن عبد ربّه و غيرهم ممّن عاين الأدب و انتقد الشعر، بيّنوا أماكن الضعف في كثير من المواضع و جعلوا للرواية شروطا في الإسناد و الأخذ والتحقيق .

–و يعدّ ابن سلاّم الجمحي أوّل من أثار في إسهاب مشكلة الانتحال في الشعر الجاهلي في كتابه "طبقات فحول الشعراء" و قد ردّها إلى عاملين: عامل القبائل الّتي كانت تتزيّد في شعرها لتتزيّد في مناقبها و عامل الرواة الوضّاعين، يقول "لما راجعت العرب رواية الشعر و ذكر أيّامها و مآثرها استقلّ بعض العشائر شعر شعرائهم و ما ذهب من ذكر وقائعهم. وكان قوم قلّت وقائعهم و أشعارهم و أرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع و الأشعار فقالوا على ألسن شعرائهم ثمّ كانت الرواة بعدُ فزادوا في الأشعار".

و ابن سلام الجمحي يرجع قضية الانتحال في الشعر الجاهلي إلى سببين:

أولا : العصبية في العصر الإسلامي :

فقد حرص كثير من القبائل العربية على أن تضيف لإسلامها ضروبا من المكانة والمجد. والشعر الجاهلي ضاع منه الكثير كما يرى أبو عمرو بن العلاء، وكما فطن إلى ذلك من قبله عمر بن الخطاب — رضى الله عنه – فقد تشاغلت العرب عنه بالجهاد و غزو الروم و فارس، و لم يكن مدونا، فلما فرغوا من الفتوح و اطمئنوا بالأمصار، و راجعوا روايته، وجدوا كثيرا من حملته قد هلكوا بالموت و القتل، و ذهب منهم أكثره. يقول أبو عمرو بن العلاء "ما انتهى إليكم ممّا قالته العرب إلاّ أقلّه، و لو جاءكم وافرا، لجاءكم علم وشعر كثير ".

ثانيا: ويتمثّل ذلك في الرواة أنفسهم، وزيادتهم في الأشعار، و يذكر ابن سلام الجمحي مثالين للرواة المتزيدين و هما: داوود بن متمم، و حماد الراوية، و يبرهن على ذلك بطرفة بن العبد، وعبيد بن الأبرص، فهما مقدّمان مشهوران، و المروى لهما عند المصحّحين قليل، فعبيد بن الأبرص قديم عظيم الذكر عظيم الشهرة، وشعره مضطرب ذاهب، لا يعرف ابن سلام الجمحي له إلا قوله :

أقفــر مـن أهلـه مـلحـوب فالقـطبيـــات فالذنـوب

وابن سلام الجمحي في هذه القضية يدوّن الحقائق العلمية الشائعة في عصره، ويلمّ بالفكرة من أطرافها، ويأخذها أخذ العلماء بالنظر والتحليل. وقد استدلّ على ظاهرة الانتحال بأنّه:

1-لا توجد قرينة على انتماء بعض ما يتداوله الرواة مكتوبًا إلى العصر الجاهلي، فهو لم يأت مرويًا عن أهل البادية، ولم يعرض على علماء العربية الثقات.

2-شعر ضعيف "مصنوعٌ مُفْتَعَلٌ موضوعٌ كثير لا خيرَ فيه، ولا حُجَّةَ في عَرَبِيَّةٍ، ولا أدبٌ يُستفاد، و لا معنىً يُسْتخرج، و لا مَثَلٌ يُضْرَب، ولا مديحٌ رائعٌ، و لا هجاءٌ مُقْذِعٌ، و لا فخرٌ مُعْجِبٌ، و لا نسيبٌ مُسْتَطْرَفٌ."

وقد انتقد ابن سلام محمد بن إسحاق صاحب السيرة النبوية فقال عنه: "كتب في السِّيَرِ أشعار الرجال الّذين لم يقولوا شعرًا قط، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال، ثمّ جاوز ذلك إلى عادٍ وثمودَ، فكتب لهم أشعارًا كثيرة، وليس بشعر، إنَّما هو كلامٌ مؤلَّفٌ معقودٌ بقَوَافٍ." الأمر الّذي جعل ابن سلام ينفى هذا الشعر، ويرفضه مستدلاً على ذلك بالعديد من الأدلّة.

المحاضرة التاسعة: مفهوم الشعر عند النقاد العرب القدماء.

الشعر من أقدم الفنون الأدبية الّتي عرفها الإنسان، وحاول أن يعبّر بها عن تجاربه و أحاسيسه و مشاعره نحو كلّ ما يحيط به. وقد شغل النقاد على مرّ العصور، وعلى اختلاف بيئاتهم بالبحث في ماهية الشعر، إلاّ أنّه من الصعب أن نجد تعريفاً موحّداً عند جميع الأدباء و لنقاد. ويبدو أنّ ما قدّمه هؤلاء الأدباء و النقاد كان نتيجة وجهة نظر و تعبير خاص، تعكس التكوين الشخصي و الموقف الأدبي لكلّ منهم.

إنّ الشعر هو الصورة التعبيرية الأدبية الأولى الّتي استخدمها الإنسان ليعبّر عن مكنونات نفسه و خباياها، فهو ضرورة نفسية بيولوجية للتنفيس عن انفعالاته. لذلك نجد من دافع عن الشعر وعن ضرورته وبيَّن فضله.

يقول عبد القاهر الجرجاني في "دلائل الإعجاز" عن فضل الشعر إنّه: "مجنى ثمر العقول و الألباب،

و مجتمع فرق الآداب، و الّذي قيّد على الناس المعاني الشريفة، و أفادهم الفوائد الجليلة، و ترسّل بين الماضي و الغابر، ينقل مكارم الأخلاق إلى الولد عن الوالد، و يؤدّي ودائع الشّرف عن الغائب إلى الشاهد، حتّى ترى به آثار الماضين مخلّدة في الباقين، و عقول الأوّلين مردودة في الآخرين، و ترى لكلّ من رام الأدب و ابتغى الشرف، و طلب محاسن القول والعقل، مناراً مرفوعاً، و علماً منصوباً، و هادياً مرشداً، و معلّماً مسدّداً، و تجد فيه للنائي عن طلب المآثر، و الزاهد في اكتساب المحامد، داعياً و محرّضاً، و باعثاً محضضاً، ومذكّراً و معرّفاً، و واعظاً و مثقّفاً."

مفهوم الشعر في اللغة:

يقول ابن منظور في لسان العرب: " وليت شعري، أي ليت علمي أو ليتني علمت، وليت شعري من ذلك أي: ليتني شعرت.

وفي الحديث: ليت شعري ما صنع فلان، أي ليت علمي حاضر أو محيط بما صنع. وفي التنزيل: "و مايشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون" أي: و ما يدريكم. و أشعرته فشعر أي: أدريته فدرى، والشعر: منظوم القول، غلب عليه لشرفه بالوزن و القافية، و إن كان كل علم شعراً."

فالشعر علم، وهو ضرب من ضروب الكلام المنغم الموزون المثير، تتعاطاه طائفة متميّزة من الناس، عرفوا بالشعراء. ولقد اهتمّ العرب بهذا الضرب من الكلام، فحفظوه وتناقلوه ورووه جيلاً بعد جيل، لأنّهم فتنوا بما تميّز به من نفاذ إلى حقائق الأشياء، وقدرته على التصوير والتعبير عن أسرار النفس و الكون، وما يفيض به من حِكَم و أمثال و فوائد. ومن هنا أصبحت العرب تميّز بين هذا الفن وغيره من الفنون، وحاول النقاد العرب أن يضعوا له حدّاً وتعريفاً يميزه عن غيره من أصناف الكلام.

1- مفهوم الشعر عند الجاحظ (255هـ):

ألمّ الجاحظ بفكرة الشعر وماهيته حين عرض لاستحسان أبي عمرو الشيباني بيتين من الشعر لأحدهم، و هما:

لا تحسبن الموت موت البلى فإنّما الموت سؤال الرجال

كلاهما موت ولكن ذا أفظع من ذاك لذل السؤال

فالجاحظ أنكر هذا الاستحسان من أبي عمرو، وبيّن أن ليس في البيتين أثارة من شعر، و ليس قائلهما بشاعر. يقول الجاحظ: «و أنا رأيت أبا عمرو الشيباني، و قد بلغ من استجادته لهذين البيتين في المسجد يوم الجمعة، أن كلّف رجلاً حتّى أحضر دواة و قرطاساً حتّى كتبهما له. وأنا أزعم أن صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً أبداً. ولولا أن أدخل في الحكم بعض الفتك لزعمت أنّ ابنه لا يقول شعراً أبداً." نلاحظ من حكم الجاحظ أنّه كان حريصاً على تأكيد أن مفهوم الشعر لم يكن واحداً عند أهل عصره، فمن الناس من يرى (الشعرية) في المعنى الحكيم والقول الدال، ومنهم من يراها في قوّة الطبع والبراعة في التشكيل. والقدرة على تصوير المعاني. والخطأ الّذي وقع فيه أبو عمرو الشيباني في نظر الجاحظ هو انطلاقه في حكمه على البيتين من عنصر المعنى. فالجاحظ لا يرى المعنى الحكيم وحده شعراً، فإنّ المعاني الحكيمة و المواعظ الدالة حظٌّ متاح للجميع. يقول الجاحظ: " و ذهب الشيخ إلى استحسان المعنى، و المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي و العربي، و البدوي و القروي و المدني، و إنّما الشأن في إقامة الوزن، و تخيّر اللفظ، و سهولة المخرج، و كثرة الماء، و في صحّة الطبع وجودة السبك، فإنمّا الشعر صناعة، و ضرب من النسيج، و جنس من التصوير."

هذا النص يضع بين أيدينا مفهوماً متطوّراً للشعر، فالجاحظ يفرّق بين المعاني الغفل الّتي لم يصوّرها الشعر، وبين الشعر الّذي يصنع وينسج ويصوِّر. فالشاعر عند الجاحظ صانع و نسّاج و مصوّر.

كما أنّ المعنى الحكيم عند الجاحظ الّذي لا يقدّم لنا تشكيلا شعريا متميزا غير خليق بأن يكون شعراً. فماهية الشعر وجوهره أنّه نظام لغويّ خاص، ينبعث عنه معنى لا وجود له إلاّ فيه، و المعنى الشعري من هذه الوجهة ليس المعنى المنطقي العام الّذي يحصّله الناس من خبرات الحياة. وهو بذلك يصدر في فهمه للشعر عن تصوّر جديد للفنّ الشعري، ليس هو التصوّر العربي المعروف، الّذي يرى في الشعر تعبيراً عن دخائل النفوس.

2-أضرب الشعر عند ابن قتيبة (276 هـ):

يقول ابن قتيبة في مقدّمة كتابه الشعر والشعراء: " وكان حقّ هذا الكتاب أن أودعه الأخبار عن جلالة قدر الشعر وعظيم خطره... و عمّا أودعته العرب من الأخبار النافعة، و الأنساب الصحاح، و الحكم المضارعة لحكم الفلاسفة، والعلوم في الخيل، و النجوم و أنوائها و الاهتداء بها، و الرياح و ما كان منها مبشّراً أو جائلاً، و البروق و ما كان منها خُلّباً أو صادقاً، و السّحاب و ما

كان منها جهاماً أو ماطراً، و عمّا يبعث منه البخيل على السماح، و الجبان على اللقاء، و الدنيّ على السمو."

فقد عرض ابن قتيبة في كتابه لأمر عرفه النقد العربي قبل عصره بزمان؛ وهو أن الشعر في تصور العرب مصدر رئيسي من مصادر المعرفة الموثوقة، فقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب–رضي الله عنه–قولته المشهورة: "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه."

وكان له ذوق خاص ومنحى خاص في النقد الأدبي، هذا المنحى هو البحث في الأدب بروح العلم، هو التمشّي بالنقد الأدبي أن يكون كالعلم دقّة وتحديداً، هو تحليل الشعر إلى عناصره، وحصر حالات كلّ عنصر، هو تنظيم ما عرف من الآراء والأفكار قديماً في النقد، ووضعها في أصول عامّة، وقواعد عامّة يلمسها الناقد ويضع يده عليها.

وهو في كتابه الشعر والشعراء لم يتّجه إلى تعريف الشعر كمصطلح نقدي كما فعل الجاحظ، لكنّه وضّح مكوّناته وعناصره وأقسامه وأضربه، معتبراً النقد كالعلم، له قيوده وقواعده العامة.

تتّسم رؤية ابن قتيبة في تحديد الأسس الجمالية الّتي يجب توافر شيء منها في الشعر إلى إعلاء منزلته و رجحان كفّة مبدعه، بثنائية تفصل الشكل عن المضمون في فن الشعر، و ترى لكلّ منها ضرباً خاصاً من الجماليات.

وجملة القول إن ابن قتيبة أعمل ثقافته النقدية في الشعر فرآه أربعة أضرب من جهة توافر الجودة في معناه ولفظه.

وهي:

أ–ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه، كقول أوس بن حجر:

أيّتهـــا النفـس أجمـلي جزعـا إنّ الّـذي تحذرين قد وقعـــا

ب–ضرب منه حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتشته لم تجد هنا فائدة في المعنى، كقول القائل:

و لمّا قضينـا من منى كلّ حـاجـــة و مسّح بالأركان من هو ماســح

و شدّت على حدب المهاري رحالنا و لا ينظر الغـادي الذي هو رائح

أخذنــا بأطراف الحديــث بينــنــا و سالت بأعنـاق المطي الأباطح

ج-ضرب منه جاد معناه، و قصرت ألفاظه عنه، كقول لبيد بن ربيعة:

ما عاتب المـرء الكريــم كنفسه و المرء يصلحه الجليس الصـالح

د-وضرب منه تأخّر معناه وتأخر لفظه، كقول الأعشى:

و قد غدوت إلى الحانوت يتبعني شاوٍ مشلٌّ شلولٌ شلشلٌ شولُ

كما اهتمّ ابن قتيبة بالحالة النفسية لمبدع الشعر، وهو من هذه الوجهة ينتمي إلى فئة النقاد الّذين يرون الشعر تعبيراً عمّا في رقعة النفس وليس محاكاة يقصد منها إلى الإثارة والتعجيب، لكنّه أغفل هذا الأساس عند مناقشته لضروب الشعر. وقد أضفى المنطق والفقه طابعاً خاصاً على نقده، إذ اتسم كلامه بالوضوح و الميل إلى التصنيف و قوّة الاستدلال.

3-ابن طباطبا وعيار الشعر (322 هـ):

يعرف ابن طباطبا الشعر في كتابه "عيار الشعر" بقوله "الشعر –أسعدك الله- كلام منظوم، بائن عن المنثور الّذي يستعمله الناس في مخاطباتهم، بما خصّ به من النظم الّذي إن عدل عن جهته مجّته الأسماع، و فسد على الذوق. ونظمه معلوم محدود، فمن صحّ طبعه و ذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض الّتي هي ميزانه، و من اضطرب عليه الذوق لم يستغن من تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض و الحذق به، حتّى تعتبر معرفته المستفادة كالطبع الّذي لا تكلّف معه."

يقصد ابن طباطبا بالنظم هنا الوزن، ويلحظه الطبع السليم والذوق المدرب. لكن من افتقد الطبع السليم احتاج إلى تعلّم العروض، حتّى يصير علمه به كالطبع.

إنّ أهمّ ما في هذا التعريف أنّه يحدّد الشعر على أساس الانتظام الخارجي للكلمات، كما أنّه لا يشير صراحة إلى القافية إلاّ أنّها متضمنة فيه. والتعريف فضلاً عن ذلك لا يهتمّ بالجانب التخييلي من الشعر، من حيث مصدره أو تأثيره، و إنّما يهتمّ بالشعر في ذاته باعتباره بنية لغوية منتظمة على أساس من الطبع و الذوق.

ولقد استقرّ في عصر ابن طباطبا تعريف الشعر عند الفلاسفة بأنّه (الكلام المخيل) الذي ينشأ عن فاعلية المخيلة عند المبدع، ويحدث تأثيره بتحريك قوّة المخيلة عند المتلقي. لكن ابن طباطبا لا يلجأ إلى هذا التعريف الفلسفي، ربما لأنّه فهم التخييل باعتباره خاصّية أساسية في الفنّ الأدبي بعامّة يمكن أن ينطوي عليها الشعر و النثر على السواء، و بذلك يظلّ أساس التمييز في الشعر هو الانتظام اللغوي المتميّز للشكل.

كما ذكر ابن طباطبا في كتابه أنّ الشعر صناعة و أنّ الصناعة تقتضي الفصل بين الألفاظ و المعاني، و إن أجراهما بعد ذلك في لفق، فقال: "وللمعاني ألفاظ تشاكلها، فتحسن فيها وتقبح في غيرها. و كم من معنى حسن قد شين بمعرضه الّذي أبرز فيه، وكم معرض حسن قد ابتذل على معنى قبيح ألبسه."

تتّسم رؤية ابن قتيبة في تحديد الأسس الجمالية الّتي يجب توافر شيء منها في الشعر إلى إعلاء منزلته و رجحان كفّة مبدعه، بثنائية تفصل الشكل عن المضمون في فن الشعر، و ترى لكلّ منها ضرباً خاصاً من الجماليات.

وقد سبق وأن ذكر الجاحظ هذه الفكرة، وزادها ابن طباطبا تفصيلاً. فقد سمى الأشعار المحكمة و أضدادها. فالأشعار المحكمة عنده هي: المحكمة الرصف، المستوفاة المعاني، السلسة الألفاظ، الحسنة الديباجة.

مثال ذلك قول أبي ذؤيب:

أمن المنـون و ريبهـا تتوجـع و الدهر ليس بمعتب من يجزع

ومن الشعر عنده شعر حسن اللفظ واهي المعنى، كقول جرير:

إنّ الّذين غدوا بلبّك غـادروا وشلاً بعينيك لا يـزال مـعينـا

وهناك شعر ذو معرض حسن ابتذل على ما لا يشاكله من المعاني، كقول كثير عزة:

فقلت لها يا عزّ كـل مصيبـة إذا وطنت يوماً لها النفس ذلت

وهناك شعر صحيح المعنى رثّ الصياغة، كقول القائل:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذ هو ساطع

وما المال و الأهلون إلاّ ودائع و لابدّ يوماً أن تردّ الودائــع

وهناك شعر قاصر لأنّ أصحابه قصّروا فيه عن الغايات الّتي أجروا شعرهم إليها، و لم يسدّوا الخلل الواقع فيها معنى و لفظاً، كقول امرئ القيس:

فللسّاق ألهوب وللسـوط درّة وللزجر منه وقع أخرج مهذّب

وهذه هي نفسها ضروب الشعر عند ابن قتيبة. وزاد عليها ابن طباطبا ضروباً أُخر ترجع عند التحقيق إلى الضروب الأربعة.

4-حدّ الشعر عند قدامة بن جعفر (337 هـ):

أراد قدامة بن جعفر أن يسد خللاً في حركة التأليف حول فن الشعر عند سابقيه، ذلك أن العلم بالشعر، فيما يراه انقسم أقساماً خمسة، هي:

أ-علم عروضه و وزنه.

ب-علم قوافيه و مقاطعه.

ج-علم غريبه و لغته.

د-علم معانيه و المقصد به.

هـ-علم جيّده من رديئه.

و أنّ الناس ألّفوا في أربعة الأقسام الأولى، لكنّهم لم يضعوا كتاباً في نقد الشعر، و تخليص جيّده من رديئه.

و هذا القسم أهمّ من باقي الأقسام و أقربها إلى جوهر العلم بالشعر، ذلك لأنّ دراسة الغريب و النحو و أغراض المعاني هي أصول الكلام العام، و هي أصول تنطبق على الشعر كما تنطبق على النثر، و من ثمّ لا يميّز الخصائص الذاتية للشعر. أمّا دراسة الوزن والقافية فهي و إن خصّت الشعر وحده ليست دراسة ملحّة لسهولة وجودها في طباع أكثر الناس من غير تعلم.

يقول قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر "فأمّا علم جيّد الشعر من رديئه فإنّ الناس يخبطون في ذلك منذ تفقّهوا في العلم فقليلاً ما يصيبون. ولما وجدت الأمر على ذلك وتبيّنت أنّ الكلام في هذا الأمر أخص بالشعر من سائر الأسباب الأخرى، وأن الناس قد قصّروا في وضع كتاب فيه، رأيت أن أتكلّم في ذلك بما يبلغه الوسع."

وأوّل خطوة لتمييز جيّد الشعر من رديئه على المستوى المنطقي الّذي يفكّر فيه قدامة هي تحديد المادّة الشعرية التّي يمكن أن يحكم عليها بالجودة أو الرداءة.

ولذلك أراد أن يحدّ الشعر حدّاً مميّزاً له عمّا ليس بشعر. فالشعر عنده "كلام موزون مقفّى يدلّ على معنى. " فالشعر إذاً، ضرب من الكلام مؤلّف من عناصر، وكلّ مؤلف من عناصر لا يمكن أن يكون جيداً على الإطلاق ولا رديئاً على الإطلاق، بل يحتمل أن يتعاقبه الأمران، مرّة هذا ومرّة ذاك، على حسب ما يتفق. ولذلك كان لزاماً أن يعرف العنصر الجيّد من عناصره ويميّز من الرديء، بعد تحديد صفات الجودة أو الرداءة فيه. وقد انسحبت هذه الفكرة على التفكير النقدي عند قدامة في جملته.

و في تعريف قدامة بأن الشعر (قول) أي أنّه جنس، و (موزون) فصل له عمّا ليس بموزون،و (مقفى) فصل عمّا هو موزون و لا قوافي له، و (دال على معنى) فصل له عمّا يكون موزوناً مقفّى و لا يدلّ على معنى.

لم يضف قدامة إلى حدّ الشعر جديداً، و لكنّ الجديد الّذي أتى به – و هو تحديد شكلي- يكمن في الجمع بينها في مكان واحد، و إدراجها تحت عبارة واحدة و هي (حدّ الشعر). وقد أغفل في حدّ الشعر عناصر جوهرية كالخيال والعاطفة. ومهما يكن من أمر فإن حدّ قدامة للشعر قد غلب على طوائف النقاد من بعده حتى ابن خلدون.

اطمأن النقاد العرب بعد قدامة إلى تمييز الشعر من سائر الكلام بالنظم. والنظم اسم جامع للوزن و القافية، و يمثل حركة الإيقاع. و هو أعظم أركان الشعر و أولاها به خصوصية، و لا يجوز أن يعدل عن النظم في الشعر، و إلاّ مجّته الأسماع و فسد الذوق. كما يقول ابن رشيق القيرواني في كتابه "العمدة" وكلّ منظوم أحسن من كلّ منثور من جنسه.

5-عمدة الشعر عند ابن رشيق القيرواني (456 هـ)

يبدأ ابن رشيق القيرواني كتابه «العمدة» بباب في فضل الشعر، بعد أن قسّم كلام العرب إلى نوعين: منظوم ومنثور، ثم يبدأ المفاضلة بينهما. ويظهر جلياً أنّه من أنصار الشعر. يقول "وكان الكلام كلّه منثوراً فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيّب أعراقها، وذكر أيّامها الصالحة، وأوطانها النازحة، وفرسانها الأنجاد، وسمحائها الأجواد، لتهزّ أنفسها إلى الكرم، وتدلّ أبناءها على حسن الشيم، فتوهّموا أعاريض جعلوها موازين الكلام، فلمّا تمّ لهم وزنه، سموه شعراً. لأنّهم قد شعروا به أي فطنوا."

وقد وضّح في باب آخر حدّ الشعر وبنيته، فقال" الشعر يقوم من بعد النية من أربعة أشياء، وهي اللفظ والمعنى و الوزن و القافية، فهذا هو حدُّ الشعر لأنّ من الكلام موزوناً مقفّى، و ليس بشعر، لعدم القصد و النيّة، كأشياء اتزنت من القرآن ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم، و غير ذلك ممّا لم يطلق عليه بأنّه شعر. والمتّزن ما عرض على الوزن فقبله، فكأنّ الفعل صار له."

نلاحظ ممّا سبق أنّ ابن رشيق قد اتّفق مع قدامة بن جعفر في وضع حدّ للشعر، وهو: اللفظ، و الوزن، و القافية، و المعنى. وقد أضاف ابن رشيق إلى ذلك شرط النية، وذلك بأن يقصد الشاعر بكلامه هذا قول الشعر وقصده.

ثمّ نراه يقسّم الشعر إلى أربعة أقسام، هي: المدح والهجاء والنسيب والرثاء، ويذكر آراء العلماء في تقسيم أغراض الشعر.

أمّا عبد الكريم النهشلي فيقسم الشعر إلى أربعة أقسام: المديح والهجاء والحكمة واللهو، ثمّ تتفرّع من كلّ صنف فنون أخرى.

6-تكامل المفهوم عند حازم القرطاجنّي (684 هـ)

يقول حازم في تعريف الشعر "الشعر كلام موزون مقفّى من شأنه أن يحبّب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكرّه إليها ما قصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمّن من حسن تخييل، و محاكاة مستقلّة بنفسها أو متصوّرة بحسن هيئة تأليف الكلام، أو صدقه أو قوّة شهرته، أو بمجموع ذلك. وكلّ ذلك يتأكّد بما يقترن به من إغراب، فإنّ الاستغراب والتعجّب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوي انفعالها وتأثّرها."

الخطوة الأولى لتحديد مفهوم الشعر عند حازم القرطاجني هي الحدّ، والحدّ مصطلح قديم سبقه إليه غيره من النقاد العرب، وهذا المصطلح لا يبعدنا كثيراً أو قليلاً عن مفهوم "الماهية" فالحدّ "قول دال على الماهية"، وهو من هذه الناحية طريق من طرق التعريف، يشتمل على ما به الاشتراك و على ما به التميز، أي ينطوي على تحديد الخصائص النوعية الّتي تجعل الشيء المعرف يتشابه مع غيره أويتميّز عنه.

وأوّل ما يميّز هذا التعريف أنه يذكرنا بتعريف قدامة بن جعفر للشعر، في مطلع القرن الرابع الهجري. فحازم لم ينف أن الشعر كلام موزون مقفى، ولكنّه وقف من هذا التعريف عند ناحية التأثير، أي فعل الشعر في التحبيب والتنفير، وذلك لأنّ الشعر يعتمد على عناصر تكفل له هذه القدرة منها: حسن التخييل أو المحاكاة أو الصدق أو الإغراب.

يستفاد من هذا التعريف أن قصد الشاعر الّذي يدفعه إلى إنشاء الشعر إنّما هو إحداث انفعال في نفس المتلقي، يحبب إليها شيئاً أو يكره إليها شيئاً. ويترتّب على كلٍّ من التحبّب والتكريه تصرّف خاص من جانب المتلقي، إمّا طلب الشيء أو الهرب منه. فالشاعر عند التهيّئ للإبداع يكون لديه قصد إمّا أن يجعل نفس المتلقّي تحبّ الشيء فيحملها بذلك على طلبه، أو إلى أن يجعلها تكره الشيء فيحملها بذلك على الهرب منه. والسلطان الّذي يستبدّ بنفس المتلقي فيجعلها تحبّ أو تكره يسمى "التخييل" يقول حازم" والتخييل أن تتمثّل للسامع من لفظ الشاعر المخيِّل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيّلها وتصوّرها أو تصوّر شيء آخر بها، انفعالاً من غير رويّة إلى جهة الانبساط أو الانقباض".

وختاماً، نقول: إن النقاد العرب القدماء عندما حاولوا أن يضعوا تعريفاً للشعر يميّزه عن باقي أنواع الفنون الأدبية، لم يختلفوا في أنّه: كلام موزون مقفّى يتضمّن معنى. فقد اتّفقوا جميعاً على أنّ من خصائص الشعر الّذي لا يكون شعراً بغيرها، هي الوزن مقروناً بقافية.

فالشعر عندهم محصور بالوزن والقافية، فإذا عدم الكلام أحدهما أو كليهما سمي شيئاً آخر غير الشعر. وقد اطمأنّ النقاد العرب القدماء إلى تمييز الكلام من سائر الكلام بالنظم، والنظم اسم جامع للوزن والقافية، ويمثّل حركة الإيقاع. وهو أعظم أركان الشعر عندهم وأولاها به خصوصية، ولا يجوز أن يعدل عن النظم في الشعر، وإلاّ مجّته الأسماع وفسد الذوق.